﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾

[مريم: 97]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الودُّ بشارةٌ للمؤمنين والبُغضُ إنذارٌ للكافرين

لَمَّا كان إنزالُ هذا القولِ الثَّقيلِ لعظمِ قدرِه وجلالةِ أمرِه، ثمَّ تيسيرِه حفظًا وعملًا سببًا لِما جُعِلَ لأهلِ الطَّاعةِ في الدُّنيا منَ الودِّ بما لهم منَ التّحلّي والتَّزيُّنِ بالصَّالحاتِ، والتَّصوّنِ عنِ السَّيِّئاتِ، الدَّالِّ على ما لهم عند مولاهم من عظيمِ العزِّ والقُربِ، وكان التَّقديرُ بذكرِ المقابلِ: والذين كفروا ليُكسبَنَّهم الجبَّارُ بُغضًا وذِلًّا، فأخبر كلًّا منَ الفريقين بما له بشارةً ونذارةً، قال اللّه تعالى مسبِّبًا عن إفصاحِ ذلك وإفهامِه ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ الآية.

وأيضًا لَمَّا احْتَوَتِ السّورَةُ على عِبَرٍ وقَصَصٍ وبِشاراتٍ ونُذُرٍ؛ جاءَ هُنا في التَّنْويه بِالقُرْآنِ وبَيانِ بَعْضِ ما في تَنْزيلِه منَ الحِكَمِ، وفيها إيذانٌ بانتهاءِ السّورة، فإنَّ شَأْنَ الإتْيانِ بِكَلامٍ جامعٍ بَعْدَ أَفْنانِ الحَديثِ أَنْ يُؤْذِنَ بِأَنَّ المُتَكَلِّمَ سَيَطْوي بِساطَهُ، وذَلِكَ شَأْنُ التَّذْييلاتِ والخَواتِمِ، وهيَ ما يُؤْذِنُ بِانْتِهاءِ الكَلامِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَسَّرْنَٰهُ﴾: (يسر) أصلان، يدلّ أحدهما على عضو من الأعضاء، والثّاني: على انْفِتاحِ شَيْءٍ وخِفَّتِه ولين انقيادِه، وجَريان الشَّيءِ بسهولةٍ بلا عوائقَ، ومنه اليُسْرُ الذي هو ضِدُّ العُسْرِ، ويُقال: إنَّه ليَسْرٌ خفيفٌ، وتَيَسَّرَ كذا، واسْتَيْسَرَ، أي: تسهَّل، وتهيَّأَ، والياسرُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 175.

منَ الغِنى والسَّعة، وأَيْسِرْ أَخاك، أَي: نَفِّس عليْه في الطَّلب، ولا تُعْسِرْه، ومن الباب يَسَّرَتِ الغَنَمُ؛ إِذا كَثُرَ لَبَنُها ونَسْلُها، واليَسيرُ والمَيْسورُ: السَّهلُ، كما يأتي اليسيرُ بمعنى الشَّيء القليلِ، ولوحظ في تسمية اليدِ اليسرى مساعدتُها أختَها اليُمنى في ضمِّ الأشياء وإمساكِها، وهذا تيسيرٌ وتسهيلٌ وتمكينٌ[1].

2) ﴿بِلِسَانِكَ﴾: (لسن) أَصْلٌ صَحيحٌ واحِدٌ، يَدُلُّ على طولٍ لَطيفٍ غَيْرِ بائِنٍ، في عُضْوٍ أَوْ غَيْرِه، مِنْ ذَلِكَ اللِّسانُ، وهو الجارحةُ المعروفةُ التي تُستخدمُ للكلامِ وغيرِه، والمتبادرُ استعمالُ اللِّسانِ للكلامِ، ويُطلَقُ اللِّسانُ على اللُّغةِ؛ لأنَّه أبرزُ آلاتها، فيقال: لكلِّ قومٍ لِسْنٌ أو لسانٌ، أَي: لُغَة يتكلَّمون بها، ويُقال: رجلٌ لَسِن بيّنُ اللَّسَن؛ إِذا كانَ ذا بَيانٍ وفصاحة، وذهبَ بعضُ اللُّغويّين إلى أنَّ اللِّسان يُذكَّرُ ويؤنَّث، فمَن أنَّثه؛ جَمَعه أَلْسُنًا، ومَن ذكَّره؛ جمعَه أَلسِنَةٌ، وذهب آخرون إلى أنَّ اللِّسانَ مُذَكَّرٌ، والجَمعُ أَلْسُنٌ، فإذا كَثُرَ؛ فهيَ الأَلْسِنَةُ، وعلى القولين إذا أريدَ باللِّسانِ اللُّغةُ أو الرِّسالةُ؛ أُنِّثَ، ويُقال: فلانٌ يتكلَّم بلسانِ قومِه، أي: بلُغتِهم[2].

3) ﴿لُّدًّا﴾: (لدد) أَصْلانِ صَحيحانِ: يدلُّ أَحَدُهُما على خِصامٍ، والآخَرُ على ناحيَةٍ وجانِبٍ، والألدُّ الخصيمُ الشَّديدُ التَّأبّي الذي لا يرجعُ إلى الحقِّ، ولا يفارقُ رأيَه مهما بان له بُطلانُه، وجمعُه: لُدٌّ، وأصلُ الألدِّ: الشَّديدُ اللَّدَد، واشتقاقُه من لَديدَي الشَّيءِ، مثل لديدَي الوادي، وهما جانباه ولديدَي العنق، وهما صَفْحتاه، وتأويلُه أنَّه في أيِّ وجْهٍ أَخَذَ مِنْ يَمينٍ أَوْ شِمالٍ في أَبْوابِ الخُصومَةِ غَلَبَه في ذَلِك، أو أنَّه لا يمكن صرفُه عمَّا يريدُه، ومنه فلان يَتَلَدَّدُ، أي: يتلفَّتُ[3]، و﴿لُّدًّا﴾ في الآية جمعُ الأَلَدِّ، وهو الشَّديدُ الخُصومة[4].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

بيَّن الله تعالى في هذه الآية الحكمةَ التي من أجلِها يسَّرَ القرآنَ، فقال: فإنَّما يسَّرْنا

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (يسر).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (لسن).
(3) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (لدد).
(4) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 3/ 347، والسجستاني، غريب القرآن، ص: 405، وابن الهائم، التبيان في تفسير غريب القرآن، ص: 225.

هذا القرآنَ بلِسانِك العربيِّ - يا محمَّدُ ﷺ - لتبَشِّرَ به المتَّقينَ بأنَّ لهم الجنَّةَ في الآخرةِ، والكرامةَ في الدُّنيا، وتخوِّفَ به المكَذِّبينَ الظَّالمين شَديدي الخُصومةِ بالباطِلِ.

تيسيرُ القرآن لبشارةِ المتَّقين وإنذارِ أهلِ الباطلِ الكافرين

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الفاء في قولِه: ﴿فَإِنَّمَا﴾:

يجوزُ أن تكون الفاءُ هي الفَصيحَةَ الدالَّةَ على تعليلِ أمرٍ ينساقُ إليه النَّظمُ الكريمُ، لتُؤذنَ بكَلامٍ مُقَدَّرٍ يَدُلُّ عليه المَذْكورُ، فيكون السَّببُ محذوفًا، كَأَنَّهُ قيلَ: بلِّغْ ما أَنْزَلْنا إِلَيْكَ، أو بشِّرْ به، وأنذرْ، فإنَّما يسَّرناه بلسانِك العربيِّ المبينِ، ويَجوزُ أَنْ تكونَ الفاءُ لِلتَّفْريعِ على ما تقدَّم من وعيدِ الكافرين الذي فيه النِّذارة، بقَوْلِه: ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مَرْيَم: 94 - 95]، ووَعْدِ المُؤْمنينَ الذي فيه البشارةُ بقَوْلِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾، فالمُفَرَّعُ هوَ مَضْمونُ البشارةِ والنّذارة، أَيْ: ذَلِكَ أَثَرُ الإعْراضِ عَمَّا جِئْتَ به مِنَ النِّذارَةِ، وأَثَرُ الإقْبالِ على ما جِئْتَ به مِنَ البِشارَةِ مِمَّا يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ، فإنَّا ما أَنْزَلْناهُ عليْكَ إلَّا لِذَلِكَ[1].

تعظيمُ شأنِ البشارةِ والنِّذارة إذ هما محورُ التّبليغِ

بلاغةُ القصرِ في الآية:

في قولِه تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ عُبِّرَ بـ﴿فَإِنَّمَا﴾ التي يُؤتَى بها للقصرِ مع المُثبتِ غيرِ المُنكر منَ المخاطَبين، ولم يقل: (ما يسّرناه إلَّا بلسانِك) بالاستثناء بعد النَّفيَ، وهو أسلوبٌ للقصر يُؤتَى به مع المُنكرين في الغالب؛ للإيذانِ بأنَّ تيسيرَ اللّه تعالى القرآنَ لرسولِه ﷺ بلسانِه ولغتِه ليبشِّرَ المتَّقين، ويُنذرَ قومًا لدًّا هو أمرٌ

من تمام إقامةِ الحجّةِ تيسيرُ تبليغِ القرآن وحفظِه وفهمِه

(1) الطيبي، حاشية على الكشاف: 10/ 116، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 284، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 176 - 177.

واضحٌ لا يحتاج إلى تحقيقٍ أو دليلٍ، وأنَّ هذا الخبر من شأنِه ألَّا يجهلَه المخاطَبون، ولا ينكروه؛ لأنَّه في نفسِ الأمرِ جليٌّ وبيِّنٌ، فليس على السَّامعين إلَّا أن يتلقَّوه بالقَبول.

كما أفاد القصرُ أنَّ نزولَ القرآن باللّغة العربيَّة هو بتيسير الله على معنى: أنَّه لو لم يكن بالعربيَّة؛ لَما تيسَّر القيامُ بتبليغِه، ولا تيسَّر حفظُه ولا فهمُه ولا القيامُ بأوامرِه واجتنابُ نواهيه.

نُكتةُ التّعبير بالماضي في قولِه: ﴿يَسَّرْنَٰهُ﴾:

كـــانَ الـقـرآن ومـا زالَ سهلًا ومُـيسّـرًا حفظًا وفهمًا

دلَّ التَّعبيرُ بصيغة الماضي أنَّ تيسير القرآن أمرٌ مقطوعٌ به، وأنَّه قد نفذَ، وثبتَ كما أخبرَ، وعُبِّرَ باليُسر للإشعار بأنَّه تعالى سهَّل القرآنَ، وهيَّأه، ويسّره بلغةِ رسولِ الله ﷺ، وهي العربية.

فائدةُ حذفِ متعلّقِ الفعل ﴿يَسَّرْنَٰهُ﴾:

خـصـوصـيَّـةُ القرآنِ في تيسير حفْظِه وسهولةِ فهمِه

لَمَّا تعلَّق الفعلُ ﴿يَسَّرْنَٰهُ﴾ بالضَّمير العائدِ إلى القرآن، وكان تيسيرُ القرآن على أنواعٍ، وكان الغرضُ منَ التَّيسير هو ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾؛ كان التَّيسيرُ على معنى العموم، والمعنى: (يسَّرنا قراءَته وذِكرَه، ويسَّرنا النُّطقَ والتَّكلُّمَ به بالعربيَّة، ويسَّرنا تبليغَه بلغتِك، وسهَّلنا فهمَه، ففهموه، وعقَلوه، ووقفوا على إعجازه، وسهَّلنا حفظَه بلغتِك)، فهو ليس كسائر الكتب المتقدمة، فإنَّهم كانوا لا يقدرون على حفظِها وقراءتِها عن ظهر قلبٍ[1].

فائدةُ التَّعبير بضميرِ العظمةِ في قولِه: ﴿يَسَّرْنَٰهُ﴾:

لَمَّا قال الله تعالى: ﴿يَسَّرْنَٰهُ﴾ بإسناد الفعلِ إلى ضمير العظمةِ العائدِ إلى الله تعالى؛ أفاد أنَّ هذا التّيسيرَ لا يقدرُ عليه إلَّا اللّه الملكُ الواحدُ الأحدُ، فتَيسيرُ اللّه للعظيم أمرٌ عظيمٌ لا يقدرُ عليه إلاّ العظيمُ.

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السّنة: 7/ 264.

عودُ ضميرِ المفعول به في ﴿يَسَّرْنَٰهُ﴾:

ضرورةُ حضورِ القرآن في أذهان المؤمنين دائمًا

يعودُ الضَّميرُ على القرآن من غيرِ تصريحٍ سابقٍ بدلالةِ السّياق، ونُكتتُه الإشعارُ بأنَّ القرآنَ حاضرٌ في أذهانِهم لظهورِه، أو ممَّا يجب أن يكون حاضرًا في الأذهان دائمًا، ونبَّه به إلى عظمة القرآنِ وعجيب تأثيرِه، فإنَّ الكلامَ واحدٌ والخطابَ واحدٌ، وهو لقومٍ تيسيرٌ، ولآخرين تخويفٌ وتحذيرٌ[1].

معنى الباء في ﴿بِلِسَانِكَ﴾:

مادامَ القرآنُ يُقرأُ باللّغة العربيَّة فهوَ ميسَّرٌ

تحتملُ الباء أن تكون مضمَّنَةً معنى (على)، أي: يسَّرنا القرآنَ على لسانِك، ليفيد الكلامُ الإشعارَ بعُلوِّ القرآن تنزيلًا ورفعةً ومكانةً، وتحتملُ أن تكون للإلصاق بتضمين الفعل ﴿يَسَّرْنَٰهُ﴾ معنى الإنزالِ، أي: يسَّرنا القرآنَ مُنزلين له بلغتِك، ليفيدَ الكلامُ أنَّ تيسيرَه ملاصقٌ لكونِه بلُغةِ رسولِ اللّه ﷺ، ففي الإلصاق معنى السَّببيَّة والمُصاحبةِ[2].

نُكتةُ الإضافةِ في قولِه: ﴿بِلِسَانِكَ﴾:

رسولُ الله ﷺ أفصحُ النَّاس لسانًا وأبينُه

لَمَّا كان المخاطَبُ هو رسولَ اللّه ﷺ؛ أفادت الإضافةُ تشريفَ المضافِ بسبب إضافتِه إلى المضاف إليه، أي: تشريفَ اللّغةِ العربيَّةِ بكونِها لغةَ رسولِ اللّه ﷺ، وأنَّه لولا أنَّ رسولَ اللّه ﷺ يتكلَّم بهذه اللّغة لَما كان القرآنُ ميسَّرًا، وفي الإضافة إيماءٌ إلى أنَّ لسانَ رسولِ اللّه ﷺ أفصحُ لسانٍ وأبْينُه.

بلاغةُ المجازِ المرسلِ في الآية:

التَّعبيرُ باللِّسانِ عنِ اللُّغةِ منَ المجازِ المرسلِ

لَمَّا عُلِّقَ تيسيرُ القرآن بلسانِ رسولِ اللّه ﷺ؛ كان المرادُ منَ اللّسان اللُّغةَ، وهو مجازٌ مرسلٌ مشهورٌ بذكرِ الآلةِ، وهي اللِّسانُ وإرادةُ اللُّغةِ، ولهذا وُحِّدَ لفظُ اللِّسانِ.

(1) القشيري، لطائف الإشارات: 2/ 444.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 284، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 176.

بديعُ الإدماجِ في قولِه: ﴿بِلِسَانِكَ﴾:

لمَّا كان المرادُ من ﴿بِلِسَانِكَ﴾ اللُّغةَ العربيَّةَ كان في الكلام إدماجٌ بالثَّناء على هذه اللُّغة وكونِها أفضلَ اللغاتِ وأفصحَها في الفَهم والإفهام، فإنَّ نُزولَ القُرْآنِ بِأَفْصَحِ اللُّغاتِ وأبلغِها هوَ مِنْ أَسْبابِ فضْلِه على غَيْرِه مِنَ الكُتُبِ السَّماويَّة، وهو من أسبابِ تَسْهيلِ حِفْظِه الذي لَم يُسَهَّلْ مِثْلُهُ لِغَيْرِه مِنَ الكُتُبِ[1].

نـــزلَ الـــقـــرآنُ بالعربيّةِ فتميّزَ عـــن غـــيرِه مـــنَ الكتبِ السّماويّةِ

معنى اللَّام في ﴿لِتُبَشِّرَ﴾:

اللَّامُ هي للتَّعليل، أي: هي لبيان الغرضِ من تيسيرِ القرآنِ بلسانِ رسولِ الله ﷺ، ولمَّا كان القصرُ إضافيًّا، وكان قد قصرَ الغرضَ من تيسيرِ القرآن على غرضَيْن، هما قولُه: ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾؛ كان المرادُ منَ القصرِ تعظيمَ شأنِ المقصورِ عليه، أي: تعظيمَ شأنِ تبشيرِ رسولِ الله ﷺ المتَّقين وإنذارِ القومِ المكابرين المجادِلين بالباطلِ.

جاءتِ الرّسالةُ النّبويّةُ تبشيرًا للمؤمنين وإنذارًا للكافرين

غرضُ التَّعبيرِ بالمضارع في ﴿لِتُبَشِّرَ﴾ و﴿وَتُنذِرَ﴾:

أفاد التَّعبيرُ بصيغة المضارع الإيذانَ باستمرارِ رسولِ الله ﷺ على تبشير المتَّقين وإنذار الكافرين المبطلين، وبتجدُّدِ هذين الأمرَين منه ﷺ حالًا فحالًا ووقتًا فوقتًا.

مهمّةُ رسولِ الله في التّبليغِ لا ترتبطُ بحالٍ أو وقتٍ

معنَى الباء في ﴿بِهِ﴾ في الموضعَين:

تفيدُ الباءُ الإلصاقَ بمعنى أنَّ تبشيرَكَ المتَّقين وإنذارَكَ القومَ اللُّدَّ مُلتصقٌ بتيسير القرآن، أي: إنَّ القرآن ميسَّرٌ للأمرَين، وفي الإلصاقِ معنى المُصاحبةِ بمعنى مُصاحبةِ القرآن للبشارةِ والنِّذارةِ، ففيه إيذانٌ بأنَّ كلَّ ما جاء به القرآنُ قائمٌ على التَّبشير والإنذار.

كلُّ ما جاءَ به القرآنُ قائمٌ على التَّبشيرِ والإنذارِ

بلاغةُ تقديمِ شبه الجملة ﴿بِهِ﴾:

قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ ﴿بِهِ﴾ في موضعِ البِشارة والنِّذارةِ للاهتمامِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 176.

أكملُ البِشارةِ والنِّذارةِ يكونُ بالقرآنِ

بالقرآن والعنايةِ به وللإشعار بأنَّه ينبغي أن يكونَ نُصبَ عينِ المخاطَبين في البشارة والنِّذارة بما اقتضاه التَّعبيرُ بـ﴿يَسَّرْنَٰهُ﴾، وفي التَّقديم كذلك تخصيصُ البشارة والنِّذارة بالقرآن، بمعنى أكملِ البشارة والنِّذارة يكونُ بالقرآن.

نكتة تكرير ﴿بِهِۦ﴾ في قوله: ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ﴾:

طريقةُ القرآنِ في البشارةِ تغايرُ طريقتَه في الإنذارِ

كُرِّرَ الجارُّ والمجرور مع الإنذار لِما يقتضيه النَّظمُ ولتأكيدِ الاهتمامِ والعنايةِ بالقرآن، وفي التَّكرير كذلك إشعارٌ بأنَّ طريقةَ القرآن في البشارة تغايرُ طريقتَه في الإنذار، فلكلٍّ لفظُه وأسلوبُه.

معنَى (أل) في ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾:

(أل) هنا للاستغراق، فيشملُ اللَّفظُ جميعَ المتَّقين، فكلُّ مَنْ له منَ التَّقوى قسطٌ، له منَ البشارة نصيبٌ.

معنى الواو في ﴿وَتُنذِرَ﴾:

أسلوبُ البشارةِ يخالفُ أسلوبَ النِّذارةِ لفظًا ومعنًى وأداءً

تدلُّ الواوُ على التَّشريك في الحُكم، بمعنى: أنَّ اللهَ تعالى يسَّرَ القرآنَ للبشارةِ وللإنذار، وفيه إشعارٌ بأنَّ الذي يبلِّغُ القرآنَ لا يقتصرُ على تبشيرِ المؤمنين، بل يضمُّ إليها إنذارَ الظَّالمين المُبطلين، ولمَّا كانتِ الواوُ تفيدُ معنَى المغايرة؛ دلَّت على أنَّ أسلوبَ البشارة يُخالفُ أسلوبَ النِّذارةِ لفظًا ومعنًى وأداءً.

بديعُ الطِّباق في قوله: ﴿لِتُبَشِّرَ﴾ و﴿وَتُنذِرَ﴾:

البشارةُ إخبارٌ بالمسرَّة وضدُّها الإنذار

في الآية طباقٌ بين الفعلَيْن ﴿لِتُبَشِّرَ﴾ و﴿وَتُنذِرَ﴾؛ لأنَّ تبشيرَ المتَّقين بمعنى إخبارِهم بما يَسُرُّهُم، وبما يَكونُ لَهُم مِنَ الثَّوابِ على تَقْواهُم، وإنذارَ القومِ اللُّدِّ بمعنى إخبارِهم بما يَسوؤهم وبما يكونُ لهم منَ العذاب على كفرِهم ومجادلتِهم بالباطل، وفائدةُ الطِّباقِ الإيذانُ بالفرقِ بين الحالين عندَ اللهِ وفي الدُّنيا والآخرة.

نكتةُ حذفِ المفعول الثَّاني في ﴿لِتُبَشِّرَ﴾ و﴿وَتُنذِرَ﴾:

لم يَذْكُرِ المبشَّرَ به لإفادة عمومِ البشارة، أي: لتبشِّرَ المتَّقين بحسنِ

العاقبةِ منَ الجنّة وبأنواعِ النَّعيمِ الدَّائم يومَ القيامة وبالعزِّ في الدُّنيا، ولم يذكرِ المنذَرَ به للتَّهويلِ[1]، فتتصوَّرَ النَّفسُ كلَّ ما يهولُ من سوءِ العاقبة منَ العذاب والذّلِّ للمنذَرين الذين لا يؤمنون باللّه ورسولِه.

حذفُ المفعولِ لإفادةِ عمومِ البشارةِ والنِّذارةِ

نكتة تنكير ﴿قَوۡمًا﴾:

كان الظَّاهر أن يأتي مقابل ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ معرفةً؛ لأنَّ المقصود معلومٌ، وهم مشركو مكَّة المكذبون المعاندون لكنَّه جاء باللفظ المقابل نكرةً؛ لِتحقير القوم اللُّدِّ والاستهانةِ بهم، فيكون أبلغَ في ذمِّهم وتوبيخِهم وتبكيتِهم؛ لأنَّ الألدَّ المعاند ينشد العزَّ في لددِه.

الألدُّ المعاندُ يَنشُدُ العِزَّ في لَدَدِه وهيهاتَ

بلاغة التَّعبير في ﴿قَوۡمًا لُّدًّا﴾:

لَمَّا تعلَّقَ الإنذارُ بالقوم، ثمَّ وصفَهم باللُّدِّ؛ أشعرَ بأنَّ الصِّفةَ الَّتي تَقَوَّمَتْ مِنْها قَوْميَّتُهُم، وأنَّ قوامَ اجتماعِهم هو اللَّددُ والمكابرةُ بالباطلِ، أي: إنَّهم أَهْلُ إيغالٍ في المِراءِ والمُكابَرَةِ وأهلُ تصميم على الباطل، وأفادتِ الصِّفةُ ﴿لُّدًّا﴾ التي جاءت وصفًا للنَّكرة تقييدَ الموصوفِ، بمعنى أنَّ شأنَهم هو اللَّددُ[2]، وعُبِّرَ بلفظة: ﴿لُّدًّا﴾ للإشعار بخصومةِ القومِ الفاجرةِ الباطلةِ، فإنَّه لا يلُدُّ إلَّا المُبطلُ[3].

شأن أهلُ المكابرةِ المراءُ والمخاصمةُ بالباطلِ

بلاغة المقابلة بين المتَّقين والقوم اللُّدِّ:

لَمَّا كان المتَّقون همُ الذين يَنقادون لأمرِ اللّه، ويخافون نواهيَه، فالتَّقْوَى امتثالٌ وطاعَةٌ، قابلَهم بمن هو في مخالفة التَّقوى أبلغُ، وأبلغُهم الألدُّ، وهو الشَّديدُ الخصومةِ العسيرُ الانقيادِ الذي لا يقبلُ الحقَّ، ويَتَمَسَّكُ بالباطِلِ، ويُجادِلُ فيه، ويَتَشَدَّدُ، فخُصّوا بالإنذار؛ لأنَّهم إذا قامت عليهمُ الحجَّةُ صار غيرُهم لاحقًا بهم، من أجلِ أنَّ الَّذي لا عِنادَ عندَهُ يَسْهُلُ انْقيادُهُ[4].

الألدُّ هو الذي لا يقبلُ الحقَّ ويَتَمَسَّكُ بالباطِلِ

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 303.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 176 - 177.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 35.
(4) الواحدي، البسيط: 14/ 342، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 21/ 568، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 11/ 162.

بلاغةُ التَّعريضِ في قولِه: ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا﴾:

كُفْرُ القومِ اللَّدِّ عَنْ عِنادٍ وتمسُّكٍ بالباطلِ

في الكلامِ تَعْريضٌ بِأَنَّ كُفْرَهُم عَنْ عِنادٍ وتمسُّكٍ بالباطلِ، وبأنَّهم يَعْلَمونَ أَنَّ ما جاءَ به سيِّدنا مُحَمَّدٌ ﷺ هوَ الحَقُّ، كَما قالَ تَعالى: ﴿فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: 33].

توجيهُ المتشابه اللّفظيّ:

البشارةُ الخاصَّةُ مضمَّنَةٌ معنى النِّذارةِ، والبشارةُ المطلقةُ لايكونُ فيها معنى النِّذارةِ، والعكسُ صحيح

وردت في القرآن الكريم البشارةُ والنّذارةُ بصوَرٍ مختلفةٍ، فقال تعالى في هذه السورة: ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا﴾، وقال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [يونس: 2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ [يس: 11]، وقال تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الأحقاف: 12]، فمرَّةً ذكرَ النِّذارةَ للنَّاسِ جميعًا، ومرَّةً للذين اتَّبعوا الذِّكرَ، ومرَّةً للذين ظلموا خاصَّةً، والأصلُ في النِّذارةِ والبشارةِ: أنَّ البشارةَ إذا كانت خاصَّةً لأحد؛ فهي له على شرط الدَّوامِ على الوصْفِ الذي استحقَّ به البشارةُ، وفيها النِّذارة له إنْ لم يدُم، وكذلك النِّذارةُ الخاصَّةُ لأحدٍ لدوام الوصْفِ الذي استحقَّ به الإنذارَ ملتزمًا بما أنذرَ به، كما في قولِه تعالى: ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا﴾، بمعنى: أنَّا نُهلكهم إنْ لم يرجعوا عن لددِهم، فإنْ تابوا، ورجعوا عن ذلك، فلهم فيها البِشارةُ، وعلى هذا تكون البشارةُ الخاصَّةُ مضمَّنةً معنَى النِّذارةِ، والنِّذارةُ الخاصَّةُ مضمَّنةً معنَى البشارة، وأمَّا البشارةُ المطلقةُ؛ فهي بشارةٌ لا يكونُ فيها النِّذارة، وكذلك النِّذارةُ المطلقةُ لا يكونُ فيها البشارةُ، وعلى هذه الأقسامِ يُخرَّجُ البشارةُ والنِّذارةُ في القرآن[1].

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 7/ 264.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الفرقُ بين اللُّدِّ والخَصمِ:

الخصومةُ تكون بالحقِّ، وتكون بالباطلِ، فهي أعمُّ من اللَّدَدِ

اللُّدُّ والخَصمُ كلاهما منَ المعاني التي تقتضي جانبَين، والخصمُ هو النِّزاعُ، والمخاصمةُ هي المنازعةُ، فكأنَّ كلَّ واحدٍ يتعلَّقُ بخصمِ الآخر، أي: بجانبِه، ويَجذبُه إليه، والمخاصمةُ لا تقتضي أن يكونَ الخصمانِ على باطلٍ، وقد يرجعان إلى الحقِّ بعد تبْيينه وإيضاحِه، بمعنَى قد يكونُ أحدُ الخصمين على حقٍّ، كما في قولِه تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ [الحج: 19]، وقصدَ به اخْتِصامَ فريقَي المُؤْمِنينَ وغَيْرِهم، فالمذمومُ في الخصومةِ ما كان خصومةً في الباطل برفعِ حقٍّ أو إثباتِ باطلٍ، وأمَّا اللُّدُّ؛ فهو وصفٌ، ومنه الألدُّ، وهو الخصيمُ الشَّديدُ التَّأبّي الذي لا يرجعُ إلى الحقِّ، ولا يفارقُ رأيَه مهما بان له بُطلانُه، فاللُّدُّ لا يكونُ إلَّا ذمًّا، والألدُّ مذمومٌ دائمًا[1].

(1) الراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (خصم، لدد).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 31 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-73-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 31 : المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-73-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»